

القسم الدراسي
الفصل الثاني
التعريف بالكتاب

توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه :

أكثر علماء القرن الثامن الهجري ترجموا الصنفى ، بعضهم من شيوخه ، وبعضهم من تلاميذه ، أو أقرانه ، أو حشاده ثم جاء من بعدهم من المؤرخين ، فتحذّثوا عنه ، وعن مؤلفاته ، وجميع ما بين يدي من تراجمه أخلّت بذكر كتابه هذا ؛ وفى الوقت نفسه لم يرد له ذكر فى كتب الصنفى الأخرى ، أو فى إجازاته التى كتبها لمستجيزيه ، وبالرغم من كل ذلك فمن المؤكد نسبة الكتاب إليه ، وأنّه مؤلفه ، وصاحبه ، للأسباب الآتية :

أولاً : نُسِبَ إليه على غلاف المخطوطة ، وهو بخطه ، وهو له فى فهرس دار الكتب المصرية ، وعنها ينقل دحداح وبروكلمان ^(١)

ثانياً : الكتاب بخط يده ، من أوله إلى آخره ، ولو كان الكتاب لغيره ، وهو ناسخه ، لذكر ذلك فى خطبة الكتاب ، وترجم مؤلفه ، وكشف عن سبب نسخه له ، وهذا معروف عنه فى أمانته العلمية ^(٢) .

ثالثاً : أسلوب الكتاب ، ومنهجه يؤكدان ذلك :

فالأسلوب : يمتاز بطول الجمل ، والالتزام بالسجع ، وكثرة المترادفات ... وكلها من خصائص أسلوب الصنفى ^(٣) .

والمنهج عنده يمتاز بميزات خاصة ، منها :

١ - المقدمة ويتناول فيها موضوع الكتاب فى العلوم العقلية والنقلية ، ويؤرخ لتطور ذلك الموضوع ، وتعريفاته المختلفة .

٢ - الاستطراد ، والتنقل من غرض إلى غرض .

٣ - الرواية بالإجازة ، عن شيوخه ، وهو هنا ينص على بعضهم منهم : ابن سيّد الناس ، وأبو الثناء محمود ، وابن الوردى ، والصفى الحلى

٤ - إثبات ما له من مشاركة ، فى الفن الذى يتناوله بالدراسة فسجل ما له من

(١) انظر : Dahdah Rocheid : Catalogue d'une collection de manuscrits arabes

Precieux et des livres rares , Paris , 1912, p 1990 وتاريخ الأدب العرب ق ٦ / ١٢١ .

(٢) انظر مقدمة كتابيه : تمام المتون ، والغيث المسجم .

(٣) راجع كتابي « الصنفى وآثاره فى الأدب والنقد » مقدمة الباب الثالث .

شعر فى القول بالموجب ، فى ثلاث عشرة صحيفة ، تضم ٤٧ نطفة من شعره ، وأكثرها مثبتة له فى كتبه الأخرى .

٥ - لا يفوته أن يبين أصل المعنى ، والسابق إليه ، والآخذون عنه

٦ - أكثر مارواه ، وبترتيبه ، نقله عنه العباسى ^(١) ، فى معاهد التنصيص ^(٢) ، ونسبه إليه ، ومن بعده ابن معصوم ^(٣) فى أنوار الربيع ^(٤) ، وغيرهما ، وأكثر شواهد ذكرها ابن حجة ^(٥) فى كتابه خزانة الأدب ^(٦) .

بكل هذه الأسباب تؤكد نسبة الكتاب لمؤلفه .

متى ألّف الصفدى هذا الكتاب ؟

ليس فى الكتاب ما يفيد تاريخ تأليفه ، والمؤكد أنه كتبه بعد سنة ٧٤٩ هـ ، وذلك للسببين الآتيين :

الأول : لم يرد له ذكر فى ثبت مؤلفاته الذى كتبه بخط يده فى إجازته لحفيد أبى الشاء محمود ^(٧) فى الثالث من شهر شوال ، من سنة ٧٤٥ هـ ، بديوان الإنشاء الشريف ، بقلعة الجبل ، بالقاهرة ، وذكر فيها من مؤلفاته ١٤ كتابا ^(٨) .

(١) أبو الفتح ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد (٨٦٧ - ٩٦٣ هـ) عالم ، أديب ، ناقد ، محدث ، له معاهد التنصيص ، وفيض البارى بشرح غريب صحيح البخارى . انظر : الأعلام ٣ / ٣٤٥ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ٢٠٥ .

(٢) انظر : معاهد التنصيص ٣ / ١٨١ - ١٩٦ .

(٣) على خان بن أحمد ، الحسينى (١٠٥٢ - ١١١٩ هـ) أديب ، لغوى ، شاعر ، ناقد ، له أنوار الربيع ، وسلافة العصر . انظر : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٩ / ١٦٤ ، والأعلام ٤ / ٢٥٨ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ٢٨ .

(٤) انظر : أنوار الربيع ٢ / ١٩٩ .

(٥) أبو المحاسن ، أبو بكر بن على ، تقى الدين (٧٦٧ - ٨٣٧ هـ) شاعر ، أديب ، ناقد ، من كتاب الإنشاء ، له خزانة الأدب ، وكشف اللثام . انظر : الأعلام ٢ / ٦٧ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٦٧ .

(٦) انظر : خزانة الأدب ١ / ٢٥٩ ، وأماكن متفرقة من الكتاب .

(٧) أبو الفضل ، محمد بن إبراهيم بن أبى الشاء ، كمال الدين ، الحلبي (٦٢٦ - ٧٦٩ هـ) أديب ، شاعر ، من كتاب الإنشاء . انظر : الدرر ٣ / ٢٩٧ .

(٨) جاءت هذه الإجازة فى آخر مخطوط « الحسن الصريح فى مائة مليح » رقم ٥١٢٠ / أدب ، دار الكتب المصرية ، وهو بخط الصفدى .

والثاني : أنه يعقّب على أسماء شيوخه بالاسترحام عليهم ، بعد وفاتهم ، وكان آخرهم ابن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ .

أقسام الكتاب :

قسم الصفدى - بحسب منهجه المعروف - كتابه إلى الأقسام الآتية :

١ - خطبة الكتاب : وبدأها بحمد الله تعالى ، والصلاة على رسوله ﷺ ، وآله ، وأصحابه ، ثم بيّن مكانة هذا الفن كنوع من أنواع البديع ، وما له من لطف ذوق ، وجمال تعبير ، وتحدّث عن مبتكره من العلماء .

٢ - المقدمة : وتناول فيها بدء القول بالموجب عند علماء أصول الفقه ، وكيف أخذه عنهم البلاغيون مسلّماً ، فهم كالعيال عليهم فيه ، ثم ذكر تعريفه عند ابن أبي الأصبع باعتباره مبتكر هذا الفن .

٣ - الفصل الأول : ما جاء فى القول بالموجب فى النواذر .

٤ - الفصل الثانى : ما جاء فيما جاء فى ذلك من الشعر .

موضوع الكتاب :

تحدّث الصفدى عن بدء ظهور فن القول بالموجب عند الأصوليين ، ونقل تعريفهم له من كتاب الأحكام فى أصول الأحكام لسيف الدين الآمدى .

ثم عرّف هذا الفن عند البلاغيين وبدأ بابن أبي الإصبع - وكعادة الصفدى - تتبع تاريخه منذ ظهوره إلى عصره فأورد نص تعريف ابن أبي الأصبع ، وانقطع الحديث قبل أن يكمل التعريف ؛ ففى المخطوطة جزء مفقود تضمّن باقى التعريف وتقسيم البلاغيين له ، وبدء الفصل الأول ، وبعضاً من نواذره الثرية ، ويمكن أن تصوّر هذا الجزء المفقود على النحو التالى :

التعريف الذى اختاره الصفدى لهذا الفن هو : « أن يقع فى كلام المتكلّم شىء ، يعنى به نفسه ، فيثبت المتكلّم لغيره ، من غير تصريح بشبوته له ، ولا بنفيه عنه ، وقد جاء فى القرآن العظيم منه قوله تعالى حكاية عن المنافقين : ﴿ يَقُولُونَ لَيْنَ شَيْءٍ ﴾

= ونشرها الدكتور صلاح الدين المنجد مصورة ، فى مجلة المجمع العلمى العربى ، بدمشق م ٣٣ / ٥١٧ - ٥١٩ ، تحت عنوان « صورة سماع لصلاح الدين الصفدى » .

رَجَمْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴿١﴾ الآية (١) ؛ فإنهم كانوا بالأعز عن فريقهم ، وبالأذل عن المؤمنين ، فأثبت الله سبحانه وتعالى صفة العزة لله ولرسوله ، وللمؤمنين ، من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج بصفة العزة ، ولا لنفيه (٢) .

وقول الغضبان بن القبغري - وكان من زعماء الخوارج - وكان مع صحابة له في بستان ، وذكر الحجاج ، فدعا عليه قائلا : « اللَّهُمَّ سَوِّدْ وَجْهَهُ ، وَأَقْطَعْ عُنُقَهُ ، وَاشْقِنِي دَمَهُ » .

فلما ظفر به الحجاج سأله عن ذلك ، فقال : أردت العنب فقال متوعدا : لأحملتك على الأدهم .

فقال : مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب .

قال : وَتِلْكَ ؛ إِنَّهُ حديد .

فقال : لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً (٣) .

« فصرف الوعيد بالهوان إلى الوعد بالإحسان ، وفي هذا ما لا يخفى على المتأدب ، وشدة الباعث على فعل الخير ، إذ لا يليق بمن له همّة عالية أن يُقال له : مثلك من يفعل الخير ، فيقول : لا ، بل أفعل الشر » (٤) .

وتناول هذا الفن - بعد مبتكره - بالتمثيل ، والشرح أبو التناء محمود ، في كتابه « حسن التوسل في صناعة الترسل » ، وهو من الكتب التي قرأها الصفدي على مؤلفه ، ورواه عنه بالإجازة ، وجعله ضربين :

أحدهما : أن يقع صفة في كلام مُدْعٍ شَيْئاً ، يعنى به نفسه ، فيثبت تلك الصفة لغيره من غير تصريح بثبوتها له ، ولا لنفيها عنه ، ومثل بالآية الكريمة التي سبق ذكرها من سورة « المنافقون » .

(١) سورة المنافقون ٦٣ : ٨ .

(٢) الغيث المسجم ١ / ٢٦٢ .

(٣) حدائق الأزاهر ٨٤ ، وفي رواية مطوّلة للحادثة ، وأنوار الربيع ٢ / ٢٠٩ ، ونفحات الأزهار

٩٤ ، والبلاغة العربية في ثوبها الجديد ١٠٥ .

(٤) خزائن الأدب ١ / ٢٥٨ .

- والثاني :** حَمَلَ كلام المتكلم مع تقريره على خلاف مراده ، بما يحتمله بذكر متعلّقه ، ومثّل لهذا النوع بقول ابن الحجاج ، وابن الدويذة المعري ^(١) .
- ونقل الصفدى أمثلة أُنِى الشاء محمود ، وتقسيمه ، وعنهما تناقلهما البلاغيون من بعدهما على الترتيب التالى :
- ١ - **القزوينى :** أبو المعالى محمد بن عبد الرحمن ، جلال الدين ، المعروف بخطيب دمشق ^(٢) ، فألّف في البلاغة كتابه « تلخيص المفتاح » ، و « الإيضاح فى شرح تلخيص المفتاح » .
- ٢ - **السبكي :** أبو حامد ، أحمد بن على بن عبد الكافى ، بهاء الدين ^(٣) ، فصنّف فى البلاغة كتابه « عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح » .
- ٣ - **التفتازانى :** مسعود بن عمر بن عبد الله ، سعد الدين ^(٤) ، فوضع كتابه « المختصر على تلخيص المفتاح » .
- ٤ - **المغربى :** ابن يعقوب ^(٥) ، فصنّف كتابه « مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح » .
- ٥ - **الدسوقي :** محمد بن أحمد بن عرفة ^(٦) ، فكتب حاشيته على شرح السعد للتفتازانى .

(١) حسن التوصل ٨٥ .

(٢) (٦٦٦ - ٧٣٩ هـ) قاض ، فقيه ، أديب ، يتقن - إلى جانب العربية - الفارسية ، والتركية . انظر : أعيان العصر ٤ / ٤٩٢ ، ووفيات السلاوى ١ / ٧٦ ، والأعلام ٦ / ١٩٢ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ١٤٥ .

(٣) (٧١٩ ت ٧٧٣ هـ) فقيه ، أصولى ، ولى قضاء الشام ، ومات مجاوراً بمكة . انظر : الوافى بالوفيات ٧ م ٢٤٦ ، وألحان السواجع ١ / ١٠٠ ، وإنباء الغمر ١ / ٢١ ، والدارس فى تاريخ المدارس ١ / ٣٦٦ ، والدليل الشافى ١ / ٦٢ وحسن المحاضرة ١ / ٤٣٥ ، ودرّة الحجال ١ / ١٠٠ ، وتاريخ الأدب العربى ، لبروكلمان ق ٦ / ٢٦ ، والأعلام ١ / ١٧٦ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ١٢ .

(٤) (٧١٢ - ٧٩٣ هـ) من أئمة العربية ، والبيان ، والمنطق . انظر : الأعلام ٧ / ٢١٩ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ٢٢٨ .

(٣) من علماء القرن الثانى عشر ، جاء فى آخر كتابه : كان الفراغ من تأليفه بمكناسة المحروسة ، يوم الجمعة ، فى منتصف النهار ، فى الرابع والعشرين من المحرم عام ثمانية بعد المائة والألف .

(٥) (ت ١٢٣٠ هـ) من علماء العربية ، ورجال الأزهر الشريف . انظر : الأعلام ٦ / ١٧ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢٩٢ .

كما نقل عنه أصحاب البديعيات الذين نظموا فى هذا الفن وشرحوا نَظْمَهُمْ بأنفسهم ، أو شرحه غيرهم ، وفى الشروح استشهدوا بأمثلة الصفدى ، وإليك حديثا موجزا عن هذا الفن ، وأشهر الذين نظموا فيه .

البديعيات :

وهى قصائد شعرية ، تتناول التمثيل للفنون البلاغية ، كان أول من ابتكر هذا النوع من النظم هو : السليماني ^(١) ، فنظم قصيدته التى أولها :

بَعْضُ هَذَا الدُّلَالِ وَالْإِذْلَالِ حَالٌ بِالْهَجْرِ وَالتَّجَنُّبِ حَالِي
وعدد أبياتها ٣٧ ، وفى كل بيت فن من فنون البديع ، وأولها فى الجنس التام والمطرّف ^(٢) .

ثم جاء من بعده صفى الدين الحلى الذى نظم بديعته فى مدح رسول الله ﷺ ، فى ١٤٥ بيت ، وضمتها ١٥١ فن من فنون البديع ، وشرحها فى كتابه « الكافية » ، وأول بديعته :

إِنْ جِئْتَ سَلْعًا؛ فَسَلْ عَنْ جِيرةِ الْعَلَمِ وَاقِرَ السَّلَامِ عَلَى غُرْبِ يَدِي سَلِمِ
وذكر الحلى فى مقدمة شرحه لبديعته أنه توصّل بها إلى الأمل فى الشفاء من مرض ألمّ به ، كما فعل البوصيرى من قبل ، وبسط بين يدي كتابه موجزا لتطور الكتابة فى البلاغة كالآتى :

١ - كان ابن المعتز ^(٣) أول من كتب البديع ، وجمع منه ١٧ نوعا ، وجمع

(١) على بن عثمان بن على بن سليمان ، أمين الدين الإربلى (ت ٦٧٠ هـ) شاعر ، كان جنديًا ، فتصوّف . انظر : الوافى بالوفيات ٢١ / ٣٠٠ ، والأعلام ٤ / ٣١٠ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ١٤٧ .

(٢) نسبها عبد الله الجبورى للصفدى خطأ ، بناء على المخطوط رقم ٥٧٥٩ / ٩ مجاميع . انظر : فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة الأوقاف العامة فى بغداد ٣ / ١٤٦ ، ولم ترد فى غيره . وراجع القصيدة فى : الوافى بالوفيات ٢١ / ٣٠٢ ، وفوات الوفيات ٣ / ٣٩ ، وأنوار الربيع ١ / ٣١ .

(٣) أبو العباس ، عبد الله بن محمد المعتز بالله ، أمير المؤمنين (٢٤٧ - ٢٩٦ هـ) شاعر ، ناقد ، أديب ، له كثير من المؤلفات . انظر : كامل ابن الأثير ٨ / ١٤ ، ودول الإسلام ١ / ١٧٩ ، والأعلام ٤ / ١١٨ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ١٥٤ .

منه معاصره قدامة بن جعفر ^(١) ٣٧ نوعا ، توارد على سبعة منها مع ابن المعتز ، فتكامل لهما ثلاثون نوعا ^(٢) .

٢ - ثم جاء من بعدهما أبو هلال العسكري ^(٣) وذكر في كتابه الصناعتين ٣٧ نوعا .

٣ - ابن رشيق ^(٤) وذكر في العمدة ٣٧ نوعا ، وأضاف إليها ٦٥ بابا ، في أحوال الشعر وأغراضه .

٤ - التيفاشي ^(٥) ، فبلغ بها ٧٠ نوعا .

٥ - ابن أبي الأصبع الذي أوصلها إلى ٩٠ نوعا ، وأضاف إليها من مستخرجاته ٣٠ نوعا ، سَلِمَ له منها ٢٠ نوعا ، وأجرى تلك الأنواع في الآيات القرآنية ، وسمّاه تحرير التحبير ، وهو أوضح كتاب صَنَّفَ فيه ؛ لأنه لم يتكلَّم على النقل دون النقد ، وذكر أنَّ ابن أبي الأصبع اعتمد على ٤٠ كتابا في هذا الفن ، واطَّلَعَ الحلِّي عليها ، وعلى ٣٠ كتابا آخر لم يطلِّع عليها ابن أبي الأصبع ^(٦) ، ثم أوصل الحلِّي فنون

(١) أبو الفرج ، قدامة بن جعفر ، البغدادى (ت ٣٣٧ هـ) كاتب ، ناقد ، من البلغاء الفصحاء ، له الخراج ، ونقد الشعر . انظر : الوافى بالوفيات ٢٤ / ٢٠٥ ، والأعلام ٥ / ١٩١ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ١٢٨ .

(٢) نقل ابن معصوم مقدمة الحلِّي في أول كتابه أنوار الربيع ١ / ٢٩ - ٣١

(٣) أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ) عالم ، أديب ، لغوى ، ناقد ، مفسر ، له شعر ، نشأ في بيت من بيوت العلم ، والأدب . انظر : دمية القصر ١ / ٥٢٥ ، والوافى بالوفيات ١٢ / ٧٨ ، وطبقات المفسرين للدوادى ١ / ١٣٤ ، والأعلام ٢ / ١٩٦ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٢٤٠ .

(٤) أبو على ، الحسن بن رشيق ، القيروانى (٣٩٠ - ٤٦٣ هـ) أديب ، شاعر ، ناقد ، صاحب العمدة في صناعة الشعر ونقده . انظر : الذخيرة ٤ / ٢ / ٥٩٧ ، والخريدة « شعراء المغرب » ٢ / ١٢١ ، ورايات المبرزين ١٣٧ ، والوافى بالوفيات ١٢ / ١١ ، والكنى والألقاب ٣ / ٩٨ ، ودائرة إفرام البستانى ٣ / ١٠٩ والأعلام ٢ / ١٩١ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٢٢٥ .

(٥) أبو العباس ، أحمد بن يوسف بن أحمد ، شرف الدين ، القيسى ، التيفاشي (٥٨٠ - ٦٥١ هـ) عالم بالجواهر الكريمة ، ويقول الصفدى : له كتاب كبير إلى الغاية وهو فى أربعة وعشرين مجلدة جمعه فى علم الأدب ، وسماه « فصل الخطاب فى مدارك الحواس الخمس لأولى الألباب » ، تولى القضاء فى قفصة ، ووفاته بمصر ، انظر : الوافى بالوفيات ٨ / ٢٨٨ ، والأعلام ١ / ٢٧٣ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٠٨ .

(٦) أورد الحلِّي ثبنا بأسماء السبعين كتابا ، ومؤلفيها .

انظر : شرح الكافية ٢٣٥ - ٣٥٦ .

البديع إلى ١٤٠ نوع إذا اعتبرت أنواع الجنس نوعا واحدا ، وإلى ١٥١ نوع إذا اعتبرت أنَّ كل واحد من أنواع الأجناس نوعا مستقلا بنفسه .

سبب التسمية بالبديعية :

ذهب الدكتور بكرى شيخ أمين إلى أنَّ التسمية راجعة إلى شرح الحلى لقصيدته الذى سماه شرح الكافية البديعية ^(١) ، فهو قد عارض البوصيرى ^(٢) فى قصيدة البردة وزنا وقافية وغرضا ومعنى ^(٣) ، وذاعت التسمية من بعده .

ويبدو لى أنَّ التسمية والقافية الميمية ^(٤) أخذهما الحلى من ابن الخشاب ^(٥) فقد نظم « القصيدة البديعية العربية » ^(٦) وضمنها عشرة مطالب فى الغزل ، واللغة ، والغريب ، والكتابة ، والعروض ، والقوافى ، والبلاغة .. وأولها :

سَلَا صَاحِبِي الْجِزْعَ مِنْ أَتْرِقِ الْجَمَى

عَنِ الظُّبَيَّاتِ الْخُرْدِ الْبَيْضِ كَالدُّمَى

وأخذت البديعية بعد الحلى صفات خاصة ، وخصائص التزم بها الناظمون فيما بعد ^(٧) .

(١) البلاغة العربية فى ثوبها الجديد « علم البديع » ١٧ .

(٢) أبو عبد الله ، محمد بن سعيد بن حماد ، الصنهاجى ، البوصيرى ، المصرى شرف الدين (٦٠٨ - ٦٩٤ هـ) شاعر ، له ديوان . انظر : الكنى والألقاب ٢ / ٩٧ ، والأعلام ٦ / ١٣٩ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ٢٨ .

(٣) عن أسباب ذبوع البردة راجع كتاب دكتور بكرى المذكور ١٧ .

(٤) مع ملاحظة أنَّ المجرى فى قافية ابن الخشاب مفتوحا ، والمجرى فى البديعيات مكسورا ؛ لأنَّ البديعية معارضة لبردة البوصيرى .

(٥) أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بن أحمد (٤٩٢ - ٥٦٧ هـ) كان أعلم أهل زمانه بالنحو ، وله معرفة حسنة بكل علم من العلوم ، ردَّ على الحريرى فى مقاماته وشرح اللمع لابن جنى . انظر : الوافى بالوفيات ١٧ / ١٤ ، والأعلام ٤ / ٦٧ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٢٠ .

(٦) منها نسخة فى دار الكتب المصرية رقم ٣٩٠٨ / أدب ، وعنها مصورة فى معهد المخطوطات العربية رقم ٦٥٣ / أدب .

وعن أغراضها راجع تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ق ٦ / ١٧٢ .

(٧) لا يمكن حصر عددها على وجه التحديد ، والذى وصلنا منها ٩١ بديعية .

راجع التعريف بها فى : البديعيات فى الأدب العربى ٧١ .

من تلك الخصائص (١) :

- ١ - طول القصائد ، فمعظمها يقارب مائة بيت ، أو يزيد .
 - ٢ - أن يشتمل البيت على لون أو أكثر من ألوان البديع .
 - ٣ - غرض القصيدة مدح الرسول ﷺ .
 - ٤ - القصيدة غالبا من بحر البسيط ، وفي أكثر أحوالها تكون القافية الميم المكسورة .
 - ٥ - القصيدة مصحوبة في الغالب بشرح مفصل لها .
 - ٦ - تتضمن جميع مباحث علمي البيان والبديع ، كما تعالج بعض مباحث علم المعاني ، في فنون مختلفة من البديع .
- وهذا الفن بقواعده كاملة انتقل إلى لغات العالم الإسلامي ، فظهرت البديعيات في اللغات : التركية ، والفارسية ، والأوردية ، وغيرها ، بل امتد تأثيرها إلى أن نظم الشعراء النصارى بديعيات في مدح السيد المسيح - رضى الله عنه - باللغة العربية (٢) .
- وتركت البديعيات أثرا واضحا في الأدب العربي (٣) ، وفي علوم البلاغة العربية (٤) .
- وبعد الحلّى نظم ابن جابر الأندلسي (٥) « الحلة السيرا في مدح خير الورى » ، والمعروفة باسم بديعية العميان ، وأولها :
- بِطَيْبَةِ انْزِلْ ، وَيَمِّمَ سَيِّدَ الْأُمَمِ وَانْثُرْ لَهُ الْمَدْحَ ، وَانْثُرْ طَيْبَ الْكَلِمِ

(١) أشار إلى بعضها د / بكرى فى البلاغة العربية فى ثوبها الجديد ١٢ .

(٢) نفسه ٢٢ .

(٣) راجع : البديعيات فى الأدب العربى ١٨٥ - ٢١٤ .

(٤) نفسه ٢٥١ - ٣١٤ .

(٥) أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن على ، الأندلسى ، الهوارى ، الضرير ، شمس الدين (٦٩٨ هـ -

٧٨٠ هـ) شاعر ، من أهل المروية ، رحل إلى دمشق ، وتوفى فى ألبيرة . انظر : الأعلام ٥ / ٣٢٨ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢٣٥ .

ويقول ابن معصوم : لأنه معاصر للحلّى ، ولا يتحقق من الأول منهما .

ولم يستوف الأنواع التي نظمها الحلّي ؛ بل أُخِلَّ بنحو سبعين نوعا منها ،
وللرُّعَيْنِي (١) شرح على هذه البديعية (٢) .

وإذا كان الحلّي وابن جابر اكتفيا بنظم الفنون البديعية ، فقد جاء مِنْ بعدهما
مَنْ تكلف ذكر اسم الفن في بيت الشعر الذي يستشهد به على هذا الفن ، منهم :
* العز الموصلي (٣) ، وقد عارض بديعية الحلّي ، فمدح رسول الله ﷺ في
١٤٠ بيت -، أولها :

بِرَاعَةٍ تَسْتَهْلُ الدُّمْعَ فِي الْعَلَمِ عِبَارَةٌ عَنْ نِدَاءِ الْمُفْرِدِ الْعَلَمِ
ووضع عليها شرحا سماه « التوصل بالبديع إلى التوصل بالشفيع »

* القصّار (٤) ، نظم بديعية ، لم تصلنا ، وإنّما عرفنا بها من معارضة المنفلوطي
لها ، ونصّ على ذلك .

* العطار الدنيسري (٥) ، له بديعية سماها « الفتح الإلّٰي في مطارحة الحلّي » .
* العلوي اليمنى (٦) : له بديعية ، وشرحها .

(١) أبو جعفر ، أحمد بن يوسف بن مالك ، الرعيني ، الغرناطي (٧٠٨ - ٧٧٩ هـ) أديب ، شاعر ،
عارف بالنحو ، له مؤلفات كثيرة ، استجاز الصفدي في سنة ٧٤١ هـ ، فأجازه . انظر : الوافي بالوفيات ٨ /
٣٠٥ . انظر : الوافي بالوفيات ٨ / ٣٠٥ ، والأعلام ١ / ٢٧٤ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢١٣ .

(٢) نشر عبد الله مخلص البديعية وشرحها بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .

يوجد منها « المنتقى » من انتقاء محمد بن إبراهيم بدر الدين البشتكي ، منه مخطوطة دار الكتب
المصرية رقم ٦٠٧ / بلاغة وعنها مصورة معهد المخطوطات العربية رقم ٥٧ / بلاغة .

(٣) علي بن الحسين بن علي ، عزّ الدين (ت ٧٨٩ هـ) شاعر ، أديب .

انظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ق ٦ م ٣٤ ، والأعلام ٤ / ٢٨٠ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ٧٥ .
عن مخطوطات البديعية وشروحه يراجع بروكلمان ، وقد ساقها كاملة كل من ابن حجة في خزنة
الأدب ، وابن معصوم في أنوار الربيع ، والنايلسي في نفحات الأزهار .

(٤) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ، الأزدي ، التونسي ، عماد الدين (كان حيا سنة ٧٩٠ هـ)
شاعر ، نحوي ، مشارك في كثير من العلوم .

انظر : معجم المؤلفين ٢ / ١١٧ .

(٥) أحمد بن محمد بن علي ، شهاب الدين (٧٤٦ - ٧٩٤ هـ) له نظم كثير ومن كتبه « نزهة
الناظر في المثل السائر » . انظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ق ٦ / ٣٥ ، والأعلام ١ / ٢٢٥ ،
ومعجم المؤلفين ٢ / ١٣٠ .

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن يوسف ، الزييدي ، اليماني ، الحنفي ، وجيه الدين (٧٤٨ - =

* عويس^(١) ، ذكر الزركلى أنَّ « بديعته » على قافية الراء .
* الآثاري^(٢) ، له بديعية أولها^(٣) :

دَغْ عَنْكَ سَلْعًا ، وَسَلَّ عَنْ سَاكِنِ الْحَرَمِ

* الْمُقَرِّئ^(٤) ، له بديعية ، وشرح عليها ، وأول بديعته :

شَارَفْتُ دَرْعًا ؛ فَذَرْتُ عَنْ مَائِهَا الشُّبْمِ
وَجَزْتُ نَفْلِي ؛ فَتَمَّ لَا خَوْفَ فِي الْحَرَمِ

* ابن حنجة الذى نظم بديعته فى مدح رسول الله ﷺ فى ١٤٢ بيت ،
وأولها :

لِى فِى ائْتِدَا مَذْحِكُمْ يَا عُزْبَ ذِى سَلَمِ
بَرَاعَةً تَسْتَهْلُ الدُّمْعَ فِى الْعَلَمِ

وشرحها فى كتابه « خزانة الأدب » ، وذكر فيه أبيات بديعته ، وبديعية الحلّى ،

= ٨٠٣ هـ) فقيه ، أديب ، ناثر ، ناظم ، من كتاب الديوان . انظر : هدية العارفين ١ / ٥٢٩ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٩٣ .

(١) عيسى بن حجاج بن عيسى ، السعدى ، القاهرى (٧٣٠ - ٨٠٧ هـ) شاعر ظريف ، له ديوان شعر .

انظر : الأعلام ٥ / ١٠٢ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢٢ .

(٢) شعبان بن محمد بن داود ، الموصلى ، زين الدين (٧٦٥ - ٨٢٨ هـ) أديب ، شاعر له أكثر من ثلاثين كتابا . انظر : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ق ٦ / ٤٦ ، والأعلام ٣ / ١٦٤ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ٣٢ .

وقد أخبرنى د / زهير غازى أن د / هلال ناجى حَقَّق ثلاث بديعيات للآثاري : صغرى ، ووسطى ، وكبرى ، ونشرتها وزارة الأوقاف العراقية فى سنة ١٩٧٧ م .

(٣) عن مخطوطاتها مصورات فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وعنوانها « العقد البديع فى مدح الشفيع » .

راجع : فهرس المخطوطات المصورة ١ / ٤١٠ ، وبروكلمان ق ٦ / ٤٦ .

(٤) إسماعيل بن أبى بكر ، الشرجى ، الحسينى ، الشاورى ، اليمنى ، شرف الدين (٧٥٥ - ٨٣٧ هـ) شاعر ، أمير ، له ديوان شعر ، وعنوان الشرف الوافى . انظر : الأعلام ١ / ٣١٠ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٦٢ .

وبديعية العميان ، وبديعية العز الموصلى مثبتا لنفسه الفضل والتفوق على كل من سبقه .

* ابن ناصر ^(١) ، له بديعية « البيان عن موت الأعيان » .
* المنفلوطى الطهطاوى ^(٢) ، له بديعية عارض بها بديعية عماد الدين القصار ، وشرحها ^(٣) .

* الكَفَّجِي ^(٤) : له بديعية أولها :
إِنْ جِئْتُ سَلَمَى ؛ فَسَلِّ مَنْ فِي خِيَامِهِمْ
وَمَنْ سَكَنَ مَنْسَكًا عَنْ دُمَيْتِي ، وَدَمِي
وشرح بديعته فى كتابه « زهر الربيع فى شواهد البديع » .

* السيوطى ^(٥) ، له بديعية أولها :
مِنْ الْعَقِيقِ وَمِنْ تَذْكَارِ ذِي سَلَمٍ بَرَاءَةُ الْعَيْنِ فِي اسْتِهْلَالِهَا بِدَمٍ
وشرحها مطبوع باسم « نظم البديع فى مدح خير الشفيع » ^(٦) .
* الباعونية ^(٧) لها « الفتح المبين فى مدح الأمين » ومطلعها :

(١) محمد بن عبد الله بن محمد ، القيسى ، الدمشقى ، شمس الدين (٧٧٧ - ٨٤٢ هـ)
حافظ ، شاعر ، مؤرخ . انظر : الأعلام ٦ / ٢٣٧ ، ومعجم المؤلفين ٩ / ١١٢ ، و ١٠ / ٢٣٦ .
(٢) فرج بن أحمد بن أبى بكر بن محمد ، المالكى (كان حيا سنة ٨٩٩ هـ) أديب ، شاعر .
انظر : معجم المؤلفين ٨ / ٥٧ .

(٣) منها نسخة كتبت سنة ٩٠٤ هـ ، مصورة رقم ٥٨ / بلاغة بمعهد المخطوطات العربية ، عن
مخطوطة سوهاج رقم ٥١ / بلاغة .

انظر : معجم المخطوطات المصورة ١ / ٤١٢ .
(٤) تقى الدين ، إبراهيم بن على بن الحسن (٨٤٠ - ٩٠٥ هـ) فقيه ، أديب شاعر ، له مؤلفات .
انظر : الأعلام ١ / ٥٣ ، ومعجم المؤلفين ١ / ٦٥ .

(٥) أبو الفضل ، عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد ، جلال الدين (٨٤٩ - ٩١١ هـ) حافظ ،
مفسر ، محدث ، أديب ، ناقد ، شاعر ، لغوى ، نحوى ، مؤرخ ، أكثر المؤلفين العرب تصنيفا . انظر :
تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٦ / ٦٠٣ ، والأعلام ٣ / ٣٠١ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٢٨ .

(٦) طبع المطبعة الوهية بمصر ، سنة ١٢٩٨ هـ . انظر : معجم المطبوعات العربية ١ / ١٠٨١ .
(٧) أم عبد الوهاب ، عائشة بنت يوسف بن أحمد (ت ٩٢٢ هـ) شاعرة ، أديبة ، متصوفة .
انظر : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٨ / ١١ ، والأعلام ٣ / ٢٤١ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ٥٧ .

فِي حُسْنِ مَطْلَعِ أَقْمَارِ بَيْدَى سَلَمٍ أَصْبَحْتُ فِي زُمْرَةِ الْعُشَّاقِ كَالْعَلَمِ
ولها شرح على بديعيتها ^(١) .

* الحميدى ^(٢) ، له « تمليح البديع بمدح الشفيع » ، وله عليها شرح مطول
* الطبري ^(٣) ، ومطلع بديعته :

حُسْنُ ائْتِدَاءٍ مَدَّيْحِي حَيْثُ ذِي سَلَمٍ أَبْدَى بَرَاغَةَ الْاِسْتِهْلَالِ فِي الْعَلَمِ
* المصري ^(٤) ، له بديعية عارض بها الحلّى .

* ابن معصوم ، وبديعته مشهورة ، وشرحها شرحا مطولا في كتابه « أنوار الربيع
في أنواع البديع » ^(٥) ، ومطلع بديعته :

حُسْنُ ائْتِدَائِي بِذِكْرِ جِيزَةِ الْحَرَمِ لَهُ بَرَاغَةُ شَوْقِي يَسْتَهْلُ دَمِي
* النابلسي ^(٦) ، وله بديعيتان :

الأولى : ولم يذكر فيها اسم الفن ؛ لما فى نظمها من التكلف ، والثقل ، وهى
التي شرحها فى كتابه « نفحات الأزهار على نسيمات الأزهار فى مدح النبى

(١) طبعت البديعية وشرحها على هامش خزانة الأدب فى القاهرة سنة ١٣٠٤ هـ ، انظر : اكتفاء
القنوع ٣٦١ ، ومعجم المطبوعات العربية ١ / ٥١٩ ، ورواها كاملة النابلسى فى نفحات الأزهار ، فى
نهاية كل نوع .

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن على (ت ١٠٠٥ هـ) شيخ أهل الوراقه بمصر ، له الدر المنظم .
انظر : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ق ٨ / ١٦ ، والأعلام ٣ / ٢٩٦ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٢٠ .

(٣) محبى الدين ، عبد القادر بن محمد بن يحيى ، الحسينى (٩٧٦ - ١٠٣٣ هـ) من علماء
الحجاز ، أديب ، شاعر ، مولده ، ووفاته بمكة المكرمة ، له مؤلفات كثيرة ، منها : « عيون المسائل من
أعيان الرسائل » جمع فيه خلاصة أربعين علما . انظر : الأعلام ٤ / ٤٤ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ٣٠٣ .
وقد روى ابن معصوم بديعته فى أنوار الربيع .

(٤) أبو سعيد ، محمد بن داود ، المصرى الشاذلى . انظر : كشف الظنون ١ / ٢٣٥ .

(٥) وازن ابن معصوم فى شرحه لبديعته بين نظمه ، ونظم كل من : صفى الدين الحلّى ، والمز
الموصلى ، وابن جابر ، وابن حجة ، والمقرئ ، والطبرى ، والعلوى اليمنى ، والسيوطى ، وذكر أكثر
أبيات البديعيات فى كتابه .

(٦) عبد الغنى بن إسماعيل بن عبد الغنى (١٠٥٠ - ١١٤٣ هـ) شاعر ، أديب ، متصوف ، له
مؤلفات كثيرة . انظر : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ق ٨ / ٢٨٦ ، والأعلام ٤ / ٣٢ ، ومعجم
المؤلفين ٥ / ٢٧١ .

المختار» ، وهى فى ١٥٠ بيت ، وابتكر فيها أنواعا لتصبح أنواع البديع ١٥٥ نوع .

والثانية : تكلف فيها ذكر اسم الفن ، وطبعت على هامش كتابه بترتيب الفصول ، ثم أعادها كلها فى نهاية الكتاب .

أسماء هذا الفن ، وآراء العلماء فيه :

كثير من أنواع البديع تتقارب فى الصفة ، وتتشابه فى الأسلوب ، وقد تختلف الأسماء بحكم التطور .

سُمى هذا الفن باسمين : مرة باسم « أسلوب الحكيم » ، ومرة باسم « القول بالموجب » .

ذهب السكاكى ^(١) ، والقزوينى إلى أنهما فن واحد .

وذهب ابن أبى الإصبع ، والبهاء السبكى ، وابن معصوم إلى أنهما نوعان مختلفان . ومن العلماء من سوى بينه وبين الاستدراك كالصفدى ، والقزوينى ، والبهاء السبكى ، ومنهم من اعتبرهما نوعين متمايزين كابن أبى الإصبع ، وابن حجة ، وابن معصوم ، والنابلسى .

وقد يشتهر بفنين آخرين من فنون البديع ، هما :

التعطف : وقد فصل ابن أبى الإصبع الفروق بينهما .

وتجاهل العارف : وقد اعتبر البهاء السبكى بعض شواهد من تجاهل العارف . وذكر ابن معصوم أن الشيخ عبد القاهر سماه « مغالطة » .

الخصائص العامة لهذا الفن :

يبدو للقارئ - للوهلة الأولى - أن هذا النوع من البديع قريب من الرياضة العقلية ، والتلاعب بالكلمات ، والمماحكة اللفظية ، وأنه مفتقر إلى الخيال الشعرى ، والعاطفة الجياشة ، وإن كان لا يخلو من حسن السبك ، وروعة التعبير ، وجمال المفاجأة ، وسحر البيان .

(١) أبو يعقوب ، يوسف بن أبى بكر بن محمد ، سراج الدين ، الخوارزمى ، الحنفى (٥٥٥ -

٦٢٦ هـ) عالم بالعربية والأدب ، صاحب « مفتاح العلوم » انظر : الأعلام ٨ / ٢٢٢ ، ومعجم المؤلفين

١٣ / ٢٨٢ .

ولكننا لو تأملنا فى ما أثبتته الدراسات النقدية الحديثة عن الخيال ، ووظائفه فى الإدراك ، والبناء الفنى فى العمل الأدبى لتبين لنا أنّ هذا النوع من أرقى الأنواع الفنية ، وأرحبها خيالاً ، والمشهور فى تلك الدراسات مباحث كولريديج الذى قسم الخيال قسمين :

الخيال الأولى : هو القوة الأولية التى بواسطتها يتم الإدراك الإنسانى عامة .

والخيال الثانوى الخيال الشعرى : وهو قوّة تتجاوز الإدراك إلى عملية خلق يتحوّل فيها الواقع إلى المثالى .

يقول كولريديج : « إننى أعتبر الخيال إذن إمّا أولياً ، وإمّا ثانوياً ؛ فالخيال الأولى : هو فى رأى القوة الحيوية أو الأولية التى تجعل الإدراك الإنسانى ممكناً ، وهو تكرار فى العقل المتناهى لعملية الخلق الخالدة فى الأنا المطلق ، أمّا الخيال الثانوى فهو فى عرفى صدى للخيال الأول ، غير أنّه يوجد مع الإرادة الواعية ، وهو يشبه الخيال الأول فى نوع الوظيفة التى يؤديها ، ولكنه يختلف عنه فى الدرجة ، وفى طريقة نشاطه . إنه يذيب ، ويلاشى ، ويحطّم لكى يخلق من جديد ، وحينما لا تنسّى له هذه العملية فإنّه على الأقل يسعى إلى إيجاد الوحدة ، وإلى تحويل الواقع إلى مثالى ، إنه فى جوهره حيوى ، بينما الموضوعات التى يعمل بها - باعتبارها موضوعات - فى جوهرها ثابتة ، لا حياة فيها » .

ويقول : « الخيال هو القدرة التى بواسطتها تستطيع صورة معينة ، أو إحساس واحد أن يهيمن على عدة صور أو أحاسيس - فى القصيدة - فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر ، هذه القوة تظهر فى صورة عنيفة هذه القوة التى هى أسمى الملكات الإنسانية تتخذ أشكالاً مختلفة ، منها العاطفى العنيف ، ومنها الهادئ الساكن ، وفى صور نشاطها الهادئة التى تبعث على المتعة فحسب ، نجدها تخلق وحدة من الأشياء الكثيرة » ^(١) .

فإذا قرأنا قول أبى الشاء محمود :

(١) انظر : كولريديج ١٥٦ - ١٥٩ .

رَأَيْتَنِي وَقَدْ نَالَ مِئْيَ النُّحُولِ وَفَاضَتْ دُمُوعِي عَلَى الْخَدِّ فَيْضًا
وَقَالَتْ : يَعْنِي هَذَا السَّقَامُ قُلْتُ : صَدَقْتَ ، وَبِالْخَصْرِ أَيْضًا

فإنك ترى كيف استطاع خيال الشاعر أن يقيم بناءين متقابلين من حقيقة واحدة، فقد جرت عادة الشعراء أن يصفوا الطُورَ بالسقم ، وهو من الصفات المستحبة في المرأة ، والتي أكثروا من التغزل بها ، ولكنهم لا يصفون الخصر بالسقم ، وإن كان من كمال الحسن ، ووفور الجمال أن تكون ناحلة الخصر ، هضيم الحشا ، وإذا بالشاعر يرى في نحول الخصر سقما ، ويرى الجمال الرائع في العين السقيمة يشد من أزره جمال أروع في دقة الخصر السقيم ، وإنك لترى اللفظ الواحد الذي استخدمه في البناءين يضيف إلى المعنى عمقا جديدا ، وإلى اللفظ نغما عذبا ، يسرى إلى النفوس هادئا ساكنا ، يبعث على المتعة واللذة .

كيف يختار الأديب اللفظ المعبر :

يمكننا - من دراسة النصوص - أن نتعرف على أسس اختيار اللفظ المناسب ، وهي في الغالب :

١ - اللفظ المشترك الذي يدلّ على معنيين أو أكثر دلالة حقيقية أو عرفية ، فقد مرّ بنا في حكاية الغُضْبَانِ بن القُبْعُرَى كيف نقل اللفظ من مجاله إلى مجال آخر ؛ لأنه يستخدم في المعنيين معا عرفا وفي بيتي أبي التثاء استخدم اللفظ في معنيين أحدهما متعارف عليه والآخر أوحى به .

٢ - التشابه في الصورة بين اللفظين ، مع اختلافهما في المعنى ، والاشتقاق ، اقرأ قول الصفدى :

قُلْتُ : أَمَا تَرْحُمُ الْمُحِبِّ فَقَدْ ذَابَ صَنْيَ فِي الْهَوَى مِنْ الْأَسِفِ
فَقَالَ : لَا بَاسَ أَنْ تَمُوتَ صَنْيَ قُلْتُ : وَلَوْ بَاسَ بَعْدَ ذَلِكَ شُنْفَى

فقد استغل التشابه اللفظي بين « باس » من البأس ، و « باس » من التقبيل .

٣ - تقسيم الكلمة إلى قسمين ، ويدخل جزءا واحدا منها في تركيبين مختلفين ، اقرأ قول الصفدى :

عَشِيفْتُ مِنَ النَّصَارَى ظَلَبَى لِنَسِ كَبَذِرِ فِي الدِّيَاجَى قَدْ تَبَدَّى

وَقَالُوا : رَاحَ شَمْسًا . فَقُلْنَا : فَكَيْفَ يَحْسِنُهُ لَوْ شِمَّ وَرَدَا ؟

كلمة الشَّمَس : من الوظائف الكنسية ، قسمها الشاعر قسمين : شَم ، وآس ، وأبدل بالآس وردا فى التركيب الثانى .

٤ - قد يأتى المراد بما له تعلّق بالكلمة ، وقرأ قول الصفدى :
وَصَاحِبٍ لَمَّا أَتَاهُ الْغِنَى تَاهُ ، وَنَفْسُ الْمَرْءِ طَمَاحُهُ
وَقِيلَ : هَلْ أَبْصَرْتَ مِنْهُ يَدًا ؟ تَشْكُرُهَا : قُلْتُ ، وَلَا رَاحَةَ
فكلمة « يد » أوحى إليه بكلمة « راحة » فأكملت له النادرة .

٥ - قد تتحقق النادرة بما يضاد الكلمة ، انظر قول الصفدى :
يَقُولُ فِي مَجْلِسِنَا زَامِرٌ :
لَمْ تَلَقَ مَا أَلْقَى بِإِضْغَاءٍ مَا عِنْدَكُمْ مَيْلٌ إِلَى حَاضِرٍ ؟
قُلْنَا : وَلَا شَوْقٌ إِلَى نَاءٍ
فقد قابل بين لفظى : حاضر ، وناء .

٦ - اختلاف المتعلّق ، وتأمل قول الصفدى :
يَقُولُ مُعَذِّبِي : إِضِيرْ لِيَوَاشٍ أَتَاكَ ، وَلَمْ تَجِدْهُ إِلَيْكَ أَحْسَنَ
عَسَى يَتَوَسَّطُ الْوَاشِي بِخَيْرٍ فَقُلْتُ لِحُرْقَتِي : بِالسَّيْفِ أَحْسَنَ
التوسط بالخير ، يختلف عن التوسط بالسيف .
وإذا تدبّرنا أنَّ التوسط بالسيف كان من وسائل الإعدام فى مجتمع المماليك
عرفنا معنى النادرة ، ومن المؤكّد أنَّ بعضا من الألفاظ التى لا يتّضح لنا معناها
تحجب عنا حلاوة النادرة .

قيمة الكتاب ، وأثره فى المؤلفات البديعية من بعده :
ترك هذا الكتاب أثرا واضحا فى كل المؤلفات البديعية التى جاءت من بعده ،
وذلك للأسباب الآتية :

* من المعروف أنَّ البلاغيين قبل الصفدى كانوا يتناولون فى كتبهم كل فنون
البلاغة ، فيضعونها فى كتاب واحد ، مختصرا ، أو مطوّلا ، أو شروحا على كتاب ،

ولا أعرف - قبل الصفدى - عالما خصّ الفن البديعى الواحد بكتاب كامل - باستثناء فن الجناس^(١) - فقد ألّف الصفدى الكتب الآتية :

جنان الجناس ، وفص الختام عن التورية والاستخدام ، وكشف السر المبهم فى لزوم ما لا يلزم ، والكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ، والهول المعجب فى القول بالموجب ، ومن المؤكّد أنّ يستوعب فى كتابه تفاصيل أكثر ، وأمثلة أشمل ، فنلاحظ أنّ ابن أبى الأصبع لم يأت فى كتابيه « تحرير التحبير ، وبديع القرآن » إلا بمثالين اثنين فقط ، ثم جاء من بعده أبو الشاء محمود فذكر ستة أمثلة ، وأمّا الصفدى فقد ذكر فى الغيث المسجم ٣٧ مثالا من الشعر ، وبعض أمثلة من النثر ، تناقلها عنه البديعيّون جميعا بالترتيب نفسه الذى أوردها به الصفدى ، ثم وسّع تلك الأمثلة فى هذا الكتاب ، ليضمّ المتبقى منه ١٠٢ نادرة من النثر ، و١٥٧ نتفة من الشعر ، ورّد أكثرها ، فيما بعد فى شروح البديعيّات كلّها مثل : خزانة الأدب لابن حجة ، ومعاهد التنصيص للعباسى ، وأنوار الربيع لابن معصوم ، ونفحات الأزهار للنابلسى وغيرها . * ذكر الصفدى أنّ الاستدراك من أنواع القول بالموجب ، وليس نوعا خارجا عنه ، وضّمّ إليه شواهد الاستدراك ، وسار البلاغيّون من بعده على رأيه ؛ فجعلوهما نوعا واحدا .

* نّبه على تأثر البلاغيين بما توصّل إليه علماء أصول الفقه ، ولم يسبقه إلى هذه الحقيقة أحد ، ولم يذكرها من بعده إلاّ تلميذه البهاء السبكى فى عروس الأفراح . * كل تعليقات الصفدى ، ونقده للأمثلة الشعرية رواها عنه من جاء بعده من النقاد .

(١) فى المكتبة العربية إشارة إلى « أجناس التجنيس » ، للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) و « الأنيس فى غرر التجنيس » لشميم الحلبي (ت ٦٥١ هـ) ، ولا أعرف مدى اعتبارهما كتبا علمية ؛ وأمّا الكتب التى تحمل اسم « الكناية » فهى كثيرة ، وكلها اختيارات أدبية ، وليست كتابا فى الفنون البديعية .

مخطوطة الكتاب :

ليس للكتاب إلا مخطوطة واحدة فقط فى دار الكتب المصرية برقم ٤٣٥ / بلاغة ، وهى بخط المؤلف ، فى ١٠٤ صفحة وفى كل صفحة أحد عشر سطرا فى المتوسط ، وفى كل سطر ٩ كلمات فى المتوسط ، وهى التى أقدمها للقارئ . وهى مكتوبة بخط جيد ، فيه بعض الضبط ، وفيه خصائص كتابة الصفدى التى تعتمد على الزخارف الشكلية ، والمزج بين أنواع الخطوط المختلفة من نسخ ، وتعليق ، ورقة ، ومغربى .. . وتميز خطه بمجموعة من المصطلحات والرموز التى تحتاج إلى خبرة طويلة فى قراءتها ، وحلّ طلاسمها ، وقد قدّمت للقارئ صورة منها فى صفحة لاحقة ، مع بعض الصور من أوراق المخطوطة .

عملى فى التحقيق :

- * تحرير نص الكتاب ، وتقويمه ، وترتيبه ، وتوثيق مصادره ، وشرح الألفاظ التى رأيت أنّها تحتاج إلى شرح وتوضيح .
- * فى الكتاب عدد من آيات القرآن الكريم ، ضبطت حروفها ، وذكّرت أسماء سورها ، ورقم كل سورة ، ومن بعده رقم الآية .
- * خرّجْتُ أحاديثه ، وآثاره .
- * وثّقْتُ آياته الشعرية ، ونسبت أكثر ما أغفل المؤلف نسبته من أبيات ؛ بحسب ما ينسبته لى مصادرى .
- * ترجمت أعلامه ، ولم أذكر فى مصادر الترجمة شيئا من الكتب التى ذكرها الزركلى فى « الأعلام » ، أو كحالة فى « معجم المؤلفين » ، مكتفيا بالإحالة عليهما .
- * فى الأبيات الشعرية ذكرت بحر البيت ، ونوع قافيته ، والاختلاف فى روايته ، وتعدد نسبة النصوص إلى قائلها .
- * عرّفْتُ بالأماكن الواردة فى الكتاب .
- * وضعت لكل نص رقما ، وجعلت حاشيته ثلاثة أقسام :
- القسم الأول : لقائله والتعريف به ، واختلاف نسبته ؛ إن نسب إلى أكثر من قائل .

والقسم الثاني : لتوثيق النص وتخريجه .

والقسم الثالث : لبيان البحر ، والقافية ، واختلاف الروايات .

* صنعت له فهرس شاملة تُسهِّل الانتفاع به .

* قدمت للكتاب بدراسة وافية لما اشتمل عليه .

* فى الأعلام ، وفى النصوص اضطراب فى الضبط ، وغموض

فى الرموز التى يستخدمها من ضمة ، وفتحة ، وكسرة ، وسكون وشدة ، ونَقْط ؛ فأصلحت هذا الاضطراب ، وصحّحت الضبط بالعلامات المستعملة اليوم ، وصححت ما يمكن أن يكون قد وهم فيه الصنفدى من الأخطاء النحوية ، وبخاصة فى المثنى ، والأسماء المقصورة ، والمنقوصة ؛ فغالبا ما يتبع الرسم القرآنى للكلمات ؛ فينتج عن رسمها خطأ فى قراءتها .

* فى الرسم الإملائى للأسماء والأفعال الثلاثية المنتهية بالألف اتخذت خطة واحدة فى رسمها ، متبعا فى ذلك رأى البصريين فقد رأيت أنه أصوب وأَوْفَق من رأى غيرهم ، وذلك للسبب الآتى :

قال ابن السِّيد البطليوسى ^(١) : « لا خلاف بين البصريين والكوفيين فى أنَّ الاسم الثلاثى المفتوح الأول نحو « الصفا ، والفتى » ينظر إلى أصله ؛ فإن كان من ذوات الواو كتب بالألف وإن كان من ذوات الياء كتب بالياء ، واختلفوا فى الثلاثى المكسور الأول ، والمضموم الأول ؛ فالبصريون يجرون ذلك مجرى المفتوح الأول ، والكوفيون يكتبون كل ثلاثى مكسور الأول ، أو مضمومه بالياء ، ولا يراعون أصله ، وليس بأيديهم حجة يتعلّقون بها ومن النحويّين من يرى أنَّ يكتب كل هذا بالألف حملا للخط على اللفظ » ^(٢) ؛ لذلك سأكتب كل ثلاثى من ذوات الواو بالألف مثل : الطُّبا ، والضُّحا ، والدُّجا ، والحِجّا مراعى لأصل الألف .

(١) أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن السيد ، البطليوسى ، الأندلسى (٤٤٤ - ٥٢١ هـ) من العلماء باللغة والأدب والنحو ، له مؤلفات كثيرة ، أشهرها الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ، انظر : الوافى بالوفيات ١٧ / ٥٩٨ ، والأعلام ٤ / ١٢٢ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ١٢١ .

(٢) الاقتضاب ٢ / ١٣٥ .